مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:01 (مـــاي 2024) ص 507– 519
ISSN: 2335–1381 EISSN: 2602–5949 Legal Deposit: 2013–6352

الملامح الإجرائية النصية في شرح الحديث النبوي: الحديث التحليلي أنموذجا

Textual procedural features in explaining the Prophetic Hadith : Analytical Hadit as a model

بلعباس بن قرعة عبد الوحيد [1]، إشراف أ.د محمد ملياني [2]
belabbas bengraa abdelwahid [1], Supervision: Mohamed Melani [2]
1 جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، belabbas.abdelwahid@edu.univ-oran1.dz
مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب
medmel@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/06/11	تاريخ القبول: 2023/10/24	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص:

حظي الحديث النبوي بقسط وافر من الدراسات العربية القديمة سواء على صعيد سنده أو على صعيد المتن، وتباينت طرائق العلماء في دراسة الأسانيد وشرح المتون، ومن أجمع هذه الطرائق (الحديث التحليلي) الذي جمع بين دراستهما بآليات إجرائية واسعة وشاملة، شابهت نظرتها في لسانيات النص، العلم الذي اتسم هو الآخر بالسعة والشمولية ودراسة النصوص من كل جوانبها، فكان بذلك لهذين العلمين العربي القديم واللساني المعاصر نقاط تلاق واشتراك في التنظير والتطبيق، وتشابه في الملامح والمفاهيم، نحاول توضيحها في هذا البحث، بغية معرفة شرف التراث العربي وما تأسس فيه من علوم نفيسة..

كلمات مفتاحية: الحديث التحليلي؛ لسانيات النص؛ الآليات الإجرائية؛ المفاهيم النصية؛ تحليل النصوص.

Abstract:

The Prophet's Hadith has received a great deal of ancient Arab studies, both at the level of supports and at the level of sources, scientists' methods varied in the study the support and the explanation of sources, the science that was also characterized by being widespread, inclusiveness and the study of texts in all its aspects, These two sciences: ancient Arabic and contemporary linguistic, had points of convergence and participation in theoretics and application, and similar procedures and concepts

Keywords: The analytical talk; Text linguistics; Procedural mechanisms; textual concepts; Text analysis.

المؤلف المرسل: بلعباس بن قرعة عبد الوحيد ، **الإيميل**: abdelwahedbelabbas191@gmail.com

1. مقدمة :

اعتنى المسلمون بالحديث النبوي منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا فخدموه خدمة لم يُعرف في الأمم السابقة مثلها، وأسسوا علوما جديدة من شأنها حفظ ألفاظ الحديث النبوي وحفظ معانيها، وأسسوا ما عرف بالإسناد وقاموا بدراسته، وحفظوا المتون النبوية بتأليف الكتب وتصنيفها، حتى صار صرح علم الحديث كاملا متكاملا، حفظ الله به دينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ومضى كثير من العلماء على شرح الأحاديث النبوية بطرق مختلفة منهم المختصر المقتضب، ومنهم المطيل المسهب، وتوسط آخرون بين ذلك، وجاء في هذا العصر من حاول التأصيل لطرقهم في شرح الأحاديث النبوية فذكروا أنواعا كثيرة، منها طريقة شاملة في شرح الأحاديث أسموها ب (الحديث التحليلي)، لم تخفَ فيها النظرة النصية في تناول الحديث النبوي، فما هي الملامح الإجرائية نصية في الحديث التحليلي؟

ويهدف هذا البحث إلى معرفة آليات تحليل الخطاب لدى المسلمين القدامى، وخاصة منهم شراح الحديث النبوي، وكذا إلى مقارنتها بآليات لسانيات النص، بغية التعرف على مدى تجلى الفكر النصي عند المسلمين القدامى في علومهم، وتكمن أهمية مثل هذه الدراسات في بيان قوة التأصيل في وضع العلوم قديما، لاسيما العلوم التي تمس القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن الاستنباطات التي استنبطها المسلمون بواسطة هذه العلوم كانت موفقة وسديدة وسليمة من الناحية العلمية، ومبنية على أصول متينة، وليست استنباطات شخصية ولا ذاتية كما يشاع عنها.

وقمنا بتوظيف المنهج التحليلي والمنهج المقارن بغية الوصول إلى النتائج المرجوة، والتي تتلخص في أن شراح الحديث النبوي وضعوا آليات إجرائية دقيقة شبيهة بنظيرتها في لسانيات النص من أجل شرح الأحاديث النبوية وتحليلها، وكانت هناك دراسات متعددة حول المفاهيم اللسانية النصية تتناول العلوم الإسلامية القديمة مثل مقال (ملامح الممارسات النصية في علم أصول الفقه: دراسة في ضوء لسانيات النص)، ومقال (السياق والتناص بين علم لغة النص وعلم أصول الفقه)، إلا أننا لم نقف على دراسة مماثلة تناولت الحديث التحليلي تناولا لسانيا نصيا.

2. مفاهيم لسانية نصية:

كانت الدراسات اللسانية في أول أمرها مقتصرة على الجملة في تناولها، فوقفت عند حدودها، بناءً على أن النصوص مجموعة من الجمل، فدراسة الجملة تغني عن دراسة النص، لكن سرعان ما تغيرت هذه الفكرة مع (ز.ليغ هاريس) عندما أثبت أن النص وحدةٌ دلالية قائمة بذاتها وليست مجموعة من الجمل، كما أن لسانيات الجملة لم تعط النتائج المرضية على صعيد النصوص، لاسيما مجال الترجمة وفي مباحث نصية أخرى مثل تحديد

أنماط النصوص واستخراج البنية الكبرى لها وغيرها، فكان لزاما الانتقال من ضيق الجملة إلى سعة النص في الدراسة، فتأسس علم يدرس النص كاملا هو (لسانيات النص).

فلسنيات النص" فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد" (الفقي 2000، ص36) فهو يهتم بالنص ويتجاوز حدود الجملة في الدراسة.

ويؤكد هذه المفاهيم جميل حمداوي في تعريفه للسانيات النص فيقول:" يقصد بلسانيات النص ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه، بمعنى أن لسانيات نص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص وتأويله، أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة الى دراسة النص والخطاب... ولا تهتم بالجملة منعزلة بل تهتم بالنص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمنيا" (حمداوي 2015، ص17) ، أي أنه وحدة دلالية ذاتية، تُدرس كاملة بآليات مناسبة لسعة النص وحيويته.

ولتحقيق هدف لسانيات النص المتمثل في دراسة النصوص كاملة قاموا بدراسة (نصية النصوص) وهي ما يجعل النص نصا، فبوجود النصية يوجد النص، وبغيابها يغيب النص ويصير كومة من الجمل لا تماسك بينها ولا ترابط، فتصل إلى المتلقي فلا يدرك معناها ولا يفقه فحواها، فلا يتحقق بها أسمى وظائف اللغة وأهمها ألا وهي التواصل، فلا تواصل بلا نصية ولا نصوص من دونها، وجعلوا هذه النصية مكوَّنة من معايير نصية تشكِّل باجتماعها نصية النصوص، ودراسة النصية إنما يكون بدراسة هذه المعايير وتحديدها واستخراجها، وبحسب حضورها وغيابها يكون تشكل النصوص وتماسكها.

ويشير أحمد عفيفي إلى أن دراسة النصوص تكمن في دراسة المعايير، ففي معرض كلامه عن مفهوم لسانيات النص فيقول:" إذن علم للغة النصي فيما نرى هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء" (الفقي 2000، ص36)فدراسة النصوص دراسة لسانية نصية يُختَصر في دراسة المعايير النصية التي منها تتشكل نصية النصوص.

واختلف العلماء النصيون في هذه المعايير وعددها، فجاءت عدة اقتراحات لها منها" قواعد النصية عند جون ميشال آدام ودي بوجراند، وقواعد شارورل الأربعة، وما ذهب إليه براون ويول، وشروط سورل، ومبادئ كرايس، وكلهم يضعون القوانين ليقاس على ضوئها الخطاب نجاحا وفشلا" (مداس 2009، 76)، ولكل منهم رأي فيما ذهب إليه، ولكنه متفقون على أن المعايير النصية هي المشكِّلة للنصية ومنها تتركب، وهي التي لابد من دراستها عند كل دراسة نصية.

وأشهر هذه المعايير النصية المعايير السبعة التي جاء بها دي بوجراند وتابعه عليها ديسلر، وذلك لوضوح مفاهيمها من جهة، ولشمولها للنص ولكل ما له أثر في إنشائه وفهمه من جهة أخرى، وهذه المعايير هي السبك والحبك والقصدية والقبول(المقبولية) والإخبارية(الإعلامية) والمقامية (رعاية الموقف) والتناص، قال دي بوجراند:" وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها" (دي بوجراند 1998، 103) وشرع في سرد تلك المعايير، وتعريفها وشرح مفاهيمها.

وأما عن هدف لسانيات النص فإنه الوصول إلى المعنى الدقيق للنص ورفع كل الاحتمالات الدلالية الواردة، وبالتالي رفع الخلاف في فهم النصوص وإدراك" الدلالة التامة للنص، وذلك من خلال الصلة الواجب توفرها بين هذه الجمل التي تمثل الدلالات الجزئية للنص، إذن تتضح أهمية هذا الموضوع في عرض الوسائل التي يمكن من خلالها إدراك دلالة النص الكاملة لا الجملة المفردة " (الفقي 2000، 15) ، فهدفه مركب من أمرين هما: تحليل النص كاملا، والوصول إلى المعنى الحقيقي للنص، وعلى هذا يؤكد نعمان بوقرة رابطا لسانيات النص باللغة قائلا:" إن المعنى يجعل اللغة لغة وليست جوانب اللغة كلها إلا جوانب المعنى وتكون اللسانيات نتيجة لذلك دراسة معنى اللغة، ولما كان النص عملية استنساخ جزئي لبعض النظام اللغوي فإن الغاية من التحليل النصي هي الوقوف على المعنى، كما أن دراسة الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ما هي إلا دراسة لجوانب الدلالة العامة" (بوقرة 2016، 61) فتحديد دلالات النصوص هو الهدف الأسمى الذي نشدته لسانيات النص، وهذا لارتباطها باللغة التي وُضِعت أصلا بهدف التواصل، ولا تواصل دون تحديد المعاني وضبطها.

وهذا ما رآه كل من هاليداي ورقية حسن في لسانيات النص وأن هدفها هو الوصول إلى المعاني وفهم اللغة فقال صبحي إبراهيم الفقي:" ولأهمية نظرة النصية وجدنا هاليداي ورقية حسن يؤكدان أن فهم اللغة يكمن في دراسة النصوص" (الفقي 2000، ص40)، ولهذا تعددت الإجراءات اللسانيات النصية، وتنوعت مشاربها ومصادرها واختلفت أنظار العلماء في حصر معاييرها مما جعلها علما بينيا بحق.

وعن بينية لسانيات النص وتنوع مشاربها يقول جميل حمداوي:" وعليه فمنهجية لسانيات النص هي منهجية لسانية ونحوية محضة، لكن يمكن لها أن تستعير أدواتها ومفاهيمها الإجرائية في إطار الانفتاح العلمي من علوم أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والبيولوجيا والفيزياء والكيمياء والطب والاعلاميات والسميوطيقا والفلسفة والرياضيات والمنطق" (حمداوي 2015، ص64) وذلك لأن اللغة ظاهرة اجتماعية فهي تمسّ كلّ الفئات الاجتماعية، وكل العلوم التي تعالج اللغة وتستعملها، وبالتالي فإن الفهم العام والدقيق للظاهرة اللغوية يستدعي توسعة الإجراءات التطبيقية لتمس كل المجالات التي يمكنها المساعدة في الوصول إلى هدف لسانيات النص.

3. الحديث التحليلي:

1.3 مفهوم الحديث التحليلي:

تنوع كلام العلماء عن الأحاديث النبوية رواية ودراية كما تنوعت طرقهم في دراسة الأسانيد والمتون واتبع كل منهم ما يراه الأنسب والأوضح في استخراج المعاني واستنباط الأحكام، وكان عمل المتقدمين تطبيقيا مبثوثا في

كتب شروح الأحاديث النبوية أو تطبيقيا وتأصيليا في أنواع جزئية منها مما يمس الأحاديث النبوية، كعلم المصطلح الحديث وعلم الرجال وغيرها، لكن لم يكن هناك منهج متكامل ومؤصل يتبعونه في شرحهم للأحاديث النبوية، حتى جاء الباحثون في هذا الزمن فنظروا إلى طرق شرحهم للأحاديث واستقرؤوا مناهجهم في ذلك وقاموا بالتأصيل لها وبيان خطواتها، وكان من ضمن ما وصلوا إليه ما سموه ب(الحديث التحليلي).

واجتهد الباحثون في تعريف الحديث التحليلي بحسب أهدافه ومنطلقاته وآلياته وذاته، فتقول سندس عادل العبيد أنه:" دراسة تكاملية تفصيلية للحديث الواحد سندا ومتنا مع استنباط فوائده" (سندس عادل 2016، ص34) فهو يدرس السند والمتن بصفة شاملة ومتكاملة بغية الإحاطة بالحديث النبوي من كل جوانبه، بهدف الوصول إلى أكبر عدد من المعاني مع صحتها وسلامتها.

ويعرّفه رائد محمد عبد العبيدي قائلا:" هو علم يعنى بدراسة الحديث النبوي على خطوات حديثة خاصة في ضوئها إلى تحليل كل جزئية متعلقة بالحديث وتكون الدراسة لحديث واحد" (رائد العبيدي 2018، ص14) وهو هنا يشير إلى الاختلاف بين الحديث التحليلي ونوع آخر هو الحديث الموضوعي فالحديث التحليلي يدرس حديثا واحدا والحديث الموضوعي يدرس عدة أحاديث في آن واحد.

ويستفيض الأستاذ عصام بن عبد الله القريوتي في بيان مفهوم الحديث التحليلي مبينا خطواته الإجرائية فهو عنده:" دراسة تتناول حديثا نبويا واحدا رواية ودراية من خلال تخريجه وبيان درجته وجمع الألفاظ التي روي بها وبيان معاني المفردات والجمل والأحكام والفوائد المستنبطة من الحديث والتعريف برواته ولطائف إسناده والبلاغة والإعراب لما لذلك من دور في إبراز المعنى وتوضيحه" (القريوتي رجب 1431، ص186) فهذا هو الهدف والأسمى في هذه الطريقة في شرح الأحاديث النبوية، أي الوصول إلى المعنى المقصود من الحديث وكل الدلالات الصحيحة التي يدل عليها.

ويشير وائل درمان إلى دور تعدد العلوم في الحديث التحليلي فيقول معرفا له بأنه:" إقامة الدراسة المستوفية لاستخدام العلوم الخادمة في بيان حديث واحد رواية ودراية أو هو الحديث الواحد الذي أقيم فيه الجهد الواسع باستخدام العلوم الخادمة لبيانه رواية ودراية" (درمان 2019، ص26) فلشمولية هذا النوع من الشروح وسعته احتاج الى إمدادات من علوم كثيرة ليتحقق أهدافه، ويصير بذلك من العلوم البينية التي تلتقي فيها مجموعة من العلوم المختلفة في علم واحد.

2.3 خطوات الحديث التحليلي:

قسم الباحثون الحديث التحليلي إلى خطوتين أساسيتين تحت كل خطوة إجراءات متعددة، ونقتصر في هذه الدراسة على الخطوة الثانية والتي هي دراسة المتن لأنه الحامل للمعنى بخلاف السند الذي هو سلسلة الرجال الروَّاة للحديث النبوي.

1.2.3 الخطوات الثانية: دراسة متن الحديث

والمتن هو "ما انتهى إليه سند الحديث" (الدهلوي 1986، ص40) وهو الموضوع الذي من أجله سيق السند وهو الذي تُستنبط منه المعاني الفقهية والعقدية والسلوكية وغيرها من الأحكام الشرعية، وتمر دراسته في الحديث التحليلي بخطوات متعددة أيضا، بهدف إبراز معناه واستنباط فوائده وإحاطته بالدراسة من كل جوانبه.

وتشمل هذه الخطوات ما يلي: معرفة غريب الحديث ومعرفة أسباب وروده والشرح الإجمالي له وإبراز الأحكام الفقهية منه والتنبيه على المسائل العقدية، والتنبيه على الإعراب والجوانب البلاغية من الحديث محل الدراسة، وسرد الفوائد المستخرجة من الحديث (القريوتي رجب 1431، ص204–219)، وهذه الخطوات سواء في دراسة السند أو المتن وما يندرج تحتها ليست محل اتفاقٍ بين جميع الدارسين، إذ بعضهم يزيد على بعض ولكن هدف جميعهم هو إحاطة السند والمتن بالدراسة من جميع الجوانب.

4. الملامح الإجرائية النصية في الحديث التحليلي:

عند الاطلاع على خطوات الحديث التحليلي وما يندرج تحتها من عناصر، وكذا ما يضيفه كل باحث عن آخر تتجلى النظرة النصية ومعانيها وملامحها الإجرائية التطبيقية بوضوح في الحديث التحليلي، وفي هذا المحور نحاول استخراجها وتجليتها وبيان الملمح النصي فيها مع مقابلتها بنظيرتها في لسانيات النص، ونقتصر على جانب دراسة المتن وذلك لأن السَّند وسيلة للوصول إليه، والمعاني إنما تكون في متن الحديث لا في سنده.

1.4 الملامح الإجرائية النصية في دراسة متن الحديث:

دراسة متن الحديث النبوي هو المراد من الحديث التحليلي وهدفه الأسمى، ودراسة السند وسيلة للوصول إلى هذا الهدف، وله خطوات متعددة تشمل الحديث النبوي بالدراسة من كل نواحيه بغية الوصول إلى معناه الحقيقي واستنباط أكبر عدد من الفوائد والعلوم دون شطط ولا تقصير، وهو في هذا يتقاطع مع لسانيات النص التي تروم دراسة النصوص من كل نواحيها للوصول إلى التحليل الأمثل لها، ومن هذه التقاطعات الاجرائية ما يلي:

1.1.4 بين معرفة أسباب ورود الأحاديث والسياقات النصية:

معرفة أسباب ورود الحديث خطوة أساسية من خطوات دراسة المتن في الحديث التحليلي، وهو سبب في توضيح المعاني وتجليتها، وهو خطوة موجودة في دراسة السند أيضا كما مر، وما تكرارها هنا إلا لأهميتها في الحديث تحليلي، ولكنها في دراسة السند نتيجة لجمع الطرق، وهي هنا في دراسة المتن مرادة لذاتها، وهي واضحة المطابقة للإجراءات النصية التي تُعنى بالسياق وهي: المقامية والإعلامية والتناص.

ويُعرَّف سبب ورود الحديث اصطلاحا بأنه:" معرفة ما جرى الحديث في سياق بيان حكمه أيام وقوعه" (سندس عادل 2016، ص185)، وتشرحه الباحثة سندس عادل مبينة دور السياق فيه قائله:" ومعنى هذا التعريف أن سبب ورود الحديث وهو السياق المقامي الذي قيل فيه الحديث ففيه يعرف الباحث السبب والظروف والأحداث وهي التي تسمى بـ السياق المقامي أي ما يحيط بالمقام من أمور وقت كلام النبي صلى الله عليه وسلم" (سندس عادل 2016، ص185)، وهذا عين ما تكلمت عنه لسانيات النص في معيار المقامية الذي يقول عنه دي بوجراند

بأنه الذي" يتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف ويغيره" (دي بوجراند 1998، ص104) أي أن الموقف له دور في إنشاء النص وفي فهمه، وهنا يتجلى الاتفاق بين الحديث التحليلي ولسانيات النص في هذا المعيار.

وعن ارتباط السياق بالمعنى –الذي هو غاية لسانيات النص–يقول علماء الحديث بأهميته وضرورة معرفته لعدم تفلت المعنى من الشرح، وعدم الخطأ فيه، يقول نور الدين عتر عن أسباب ورود الحديث:" ومنزلة هذا الفن من الحديث كمنزلة أسباب النزول من القرآن الكريم وهو طريق قوي لفهم حديث لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب" (عتر 1997، ص343) ولهذا أُفرِد هذا الموضوع كعلم من علوم الحديث، وأُلِّفت فيه المؤلفات وصنفت فيه المصنفات.

2.1.4 بين الشرح الإجمالي للحديث والمفاهيم النصية (البنية الكبرى):

الشرح الإجمالي للحديث خطوة من خطوات دراسة المتنِ في الحديث التحليلي فإن" من متطلبات الحديث التحليلي العناية بشرح الحديث شرحا مجملا يبين فيه المعنى العام للحديث وما يدور حوله، وهذا أمر قد اعتنى العلماء به عناية كبيرة" (القريوتي رجب 1431، ص207) وذلك لأنها لبُّ الدراسة والموضِّح لمعاني الحديث، وتقول سندس عادل عنه:" هو تصور كلي لكل قضايا الحديث بأسلوب مختصر" (سندس عادل 2016، ص171) فهو معنى شامل لكل أفراد حديث النبوي وجمله.

كما توضح أيضا عمق هذا الأمر وصعوبته ودقته وخطواته الإجرائية الباحثة نفسها قائلة:" قد يبدو بيان المعنى الاجمالي للحديث سهلا من أول وهلة، لكنه في الحقيقة يحتاج إلى دراسة شاملة للحديث وإلمام كامل بمعاني الحديث وقراءة واسعة حول الحديث وموضوعاته، وربما كتب الباحث المعنى الإجمالي للحديث في نهاية بحثه وتحليله، لكنه قدَّمه في العرض كي يسهل للقارئ الفهم" (سندس عادل 2016، ص171)، فهذه الخطوة تتطلب نظرة واسعة وفهما دقيقا للحديث وذلك لدقتها وأهميتها في معنى الحديث.

وهذه الخطوة بهذا المفهوم تحيلنا إلى مفهوم نصيّ مشابه أو مطابق في اللسانيات النصية، ألا وهو (البنية الكبرى)، هذا المفهوم الذي احتفى به النصيون كثيرا وأكدوا على أهميته في تحليل النصوص وفهمها، منهم صلاح فضل إذ يقول:" فالتحليل النصي إذا يبدأ من البنية الكبرى... المتحققة بالفعل وهي تتسم بدرجة القصوى من الانسجام" (صلاح فضل 1992، ص235–236) فمنها يبدأ التحليل النصي وذلك لأثرها الكبير في فهم النص وترتيب أجزائه في نسق واحد.

وقال صبحي إبراهيم الفقي مبينا معنى البنية الكبرى:" يلاحظ أن هناك في كل نص–في الغالب–أمرا جوهريا يظهر مضمونه في أرجاء النص كلها، وكذلك توجد عناصر مهمة في كل نص يستطيع القارئ أن يحددها تبعا لمعارفه واهتماماته هذا الأمر الجوهري أو العناصر المهمة تسمى البنية الكبرى... وتعرَّف بأنها التركيب المقدَّر الذي يفسِّر أو يعلِّل تنظيم النص أو الخطاب،" (الفقي 2000، ص34) فهي معنى مقدر مستتر لا يظهر إلا بعد تأمل وتحليل للنص وإعمال فكر واجتهاد، واكتشافه يمكِّن من قراءةٍ جديدة للنص تفصح عن معاني أخرى فيه.

ويستخلص محمد خطابي معنى البنية الكبرى من بحوث النصيين الغربيين فيقول:" نلاحظ من خلال التحليلات التي قام بها فان ديك لبعض الخطابات وكذلك من خلال تحديداته "البنية الكبرى" أن هذه الأخيرة لا تختلف عن مفهوم "موضوع الخطاب" وفي هذا الصدد يقول" إن وصف مفهوم تحليل الخطاب(أو جزء من الخطاب) المعطى أعلاه متطابق مع وصف البنية الكلية أي أن بنية كلية ما لمتتالية من الجمل هي تمثيل دلالي إما لقضية ما أو مجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله" (خطابي 1991، ص44) فهي معنى يضم تحته عدة أجزاء لغوية، وهذا الرابط المعنوي (البنية الكبرى) هو الذي يحدد النص من حيث بدايته ونهايته.

ومن أمثلة استخراج البنية الكبرى في الحديث النبوي ما ذُكر في قوله صلى الله عليه وسلم" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله معطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" (البخاري 1422، ج1،ص25) فهو حديث واحد ذُكر في مجلس واحد وهو مكون من ثلاث جمل" فظاهر هذا الحديث أن كل جملة من جمل الحديث تتحدث عن موضوع متغاير عن الآخر قد يظن القارئ لأول مرة أن هذه الجمل الثلاثة... ليس لها علاقة ببعضها بعضا ولكن عند التأمل في معاني الجمل وفهمها يتبين أنها متناسقة وأن هناك أمرا يجمعها هو أن الخير كله من الله سبحانه" (سندس عادل 2016، ص174) فالبنية الكبرى في هذا الحديث هي(الخير كله من الله) ويمكن التعبير عنها بعبارات أخرى هذا معناها، وعند إعادة قراءة الحديث في ظلّ هذه البنية الكبرى والمعنى الجديد تتبين شدة تماسك الحديث وتناسقه، وارتباط جمله وانتظامها في سلك هذا المعنى، وكيف أن كل جملة من جمل الحديث تعبر عن هذا المعنى وتؤكده كل بحسبها.

وأشار إلى ضرورة الاهتمام بالبنية الكبرى في الأحاديث النبوية أبو جعفر الطحاوي رحمه الله فقال:" والواجب على ذوي اللب أن يعقلوا عن رسول الله عليه السلام ما يخاطب به أمته فإنه إنما يخاطبهم به ليوقفهم على حدود دينهم وعلى الآداب التي يستعملونها فيه وعلى الأحكام التي يحكمون بها فيه وأن يعلم أنه لا تضاد فيها وان كل معنى منها يخاطبهم به يخالف ألفاظه فيه الألفاظ التي قد كان خاطبهم فيما قبله من جنس ذلك المعنى، وأن يطلبوا ما في كل واحد من ذينك المعنيين إذا وقع في قلوبهم أن في ذلك تضادا أو خلافا" (الطحاوي 1994، ج1،ص157) فمن فوائد البنية الكبرى أنها تجلي التوافق بين ما ظاهره الاختلاف من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى ما مرّ من تجْلِيَتِها للمعاني وبيان بلاغة الأحاديث النبوية وحسن بيانيها ونظامها.

3.1.4 دراسة الجملة بين الحديث التحليلي ولسانيات النص:

تَجَاوُز لسانيات النص لسانيات الجملة لا يعني تلك القطيعة التامة بينهما، بل لا زالت لسانيات النص ترتكز على لسانيات الجملة وتأخذ من نتائجها ولا تقف عند حدودها ولا آلياتها، فكانت لسانيات الجملة نقطةَ انطلاق في أبحاث لسانيات النص، فإثبات أحد العِلْمين لا يعني إلغاء الآخر ولا تجاوزَه ولا أنه غير صحيح أو غير مقبول، بل التكامل بينهما هو المنهج الأمثل الذي ينبغي السير عليه.

هذا "ولا يعني تجاوزُ النصيين حدود الجملة في الدراسة استغناؤهم عنها وبيانهم لعدم كفاية نحو الجملة لوصف الظواهر التي تتجاوز حدود الجملة ولا يعني بأية حال رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو

التشكيك في صحتها، وكل دعاوي الفصل بينهما وتجاوز لسانيات الجملة إنما هي في الحقيقة غير قائمة على أصول سليمة" (بحيري 1997، ص218)، ولذا يقول أحمد عفيفي:" إن نحو الجملة مازال ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه، كما أن نحو النص أصبح ضروريا لتحقيق هدفه" (عفيفي 2001، ص67) الذي هو تحليل النصوص بصفة شاملة والوصول إلى المعاني المرادة.

ويقول تمام حسان مبينا هذا التكامل بين لسانيات النص ولسانيات الجملة:" وليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر، فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسات النصية، وفي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين" (دي بوجراند 1998، ص4)، وذلك لأهمية الجملة العربية في تشكُّل النصوص وفي فهمها، وكذلك الحاجة المفسرين والفقهاء إلى الجملة في فهم نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي.

ويقرر الأزهر زناد التداخل بين لسانيات الجملة ولسانيات النص بعد عرضه لأوجه التشابه بينهما خاتما بحثه بقوله:" وقفنا من خلال ما سبق على التداخل بين نحو الجملة ونحو النصوص في وجوه كثيرة لا ندعي اننا أحطنا بها استقصاء وتحليلا وإنما هي كافيه لتبين ما به يدفع الفصل بين المستويين في الإنجاز اللغوي العامل وفي الجهاز العلمي الواصف، وهذا التداخل يفرض البحث عن تواصل بين المستويين والنحْوَين" (الأزهر زناد 1993، ص21) وهذا التواصل كفيل بتأسيس دراسة لغوية متكاملة مؤسسة ومؤصلة، بغية تحقيق أهداف لسانيات النص.

وتتجلى دراسة الجملة في الحديث التحليلي في عدة نقاط من الجزء الثاني منه والذي هو تحليل المتن وذلك في خطوة تحليل لغة حديث وهو أمر مهم لما يتوقف عليه من بياني معاني الجمل وبالتالي معاني النصوص ومما يدخل في هذا الباب:

4.1.4 معرفة غريب الحديث:

وهي خطوة من خطوات الحديث التحليلي في تحليل المتن" وهو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة عن الفهم لقلة استعمالها" (ابن الصلاح 1986، ص172) وتعد اللفظة في الحديث النبوي غريبة إذا توفرت فيها ثلاثة أمور هي:" أن تكون الكلمة في متن الحديث–أن تكون اللفظة غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالها–ما كان من الألفاظ مستعملا بكثرةٍ لكن في مدلوله دقة" (سندس عادل 2016، ص142–143)، فبهذه الأوصاف الثلاثة تكون اللفظة غريبة، ولابد من تجليتها من كتب الغريب والمعاجم لتتضح معاني الجمل المشكلة.

5.1.4 إعراب الحديث:

وعلاقته بالجملة واضحة، إذ الإعراب مرتبط بالجملة ودراستِها ارتباطا وثيقا" وتكمن أهميته في تعلقه بالمعنى، فكثير من المعاني تتغير عند الإعراب الخاطئ" (سندس عادل 2016، ص149)، بل تتعدد الدلالات في الجمل والنصوص بتعدد أوجه الاعراب المحتملة، لذا لابد من الاهتمام به والحرص على صحته ودقته وصوابه، مع اختيار الإعراب الأنسب والأصح بإدخال المفاهيم النصية في العملية الإعرابية.

6.1.4 البلاغة في الحديث:

فالجانب البلاغي مهم في الحديث التحليلي، وهو من ضمن مباحث لسانيات الجملة لان كثيرا من مباحث البلاغة لا تتعدى الجملة في بحثها، وإن تجاوزتها بعض من المباحث الأخرى، قال عبد السميع الأنيس" وأما ما يتصل بتفسير النص بلاغيا فهو مهم جدا في بيان الجانب الجمالي في النص النبوي، وهو علم يكشف عن الأساليب البيانية التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تعبِّر عن المعنى المقصود بطريقة حسنة يتوخى فيها تجسيم ذلك المعنى، وعرضه بمشهد مرئي ماثل للعيان لكي يكون أقوى في التأثير" (عبد السميع الأنيس 2020، ص126) لا سيما إذا كان قائل القول هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم وهو أفصح العرب قاطبة، فتَجلّي هذه المعاني والجماليات يكون أعلى وأعظم من أي كلام بشري.

2.4 البينية بين الحديث التحليلي ولسانيات النص:

نقصد بالبينية هنا كون العلم علما بينيا أي أنه ينشأ من تقاطع مجموعةٍ من العلوم، مثله مثل البُحَيْرة التي تَصُبّ فيها عدة روافد من جداول وأنهار لتشكل وحدة أخرى جديدة هي البُحيرة، ولسانيات النص هي بهذا الاعتبار علم بيني تلتقي فيها عدة علوم ومعارف تستخدمها وتنظمها في سلك واحد، لتحقق أهدافها من دراسة النصوص، فيضم علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وغيرها كما يضم لسانيات الجملة بمفاهيمها وإجراءاتها، ويأخذ من علم النفس والاجتماعي والتاريخ والنقد والتداولية وغيرها.

و اللسانيات بعمومها، ومنها لسانيات النص تجمع في طياتها عدة علوم تتكامل لتؤدي أهدافها، يقول دي بوجراند في هذا الصدد:" إن الحدود التقليدية للّسانيات تتلاشى أمام التفاعل القوي بينها وبين العلوم ذات الصلة بها وهي علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلي والسميوطيقا والسبرنطيقا والتربية والدراسات الأدبية" (دي بوجراند 1998، ص71) فدراستها للغة يحتم عليها دمج كل ما له علاقة بها، وذلك مما يخوِّل لها الوصول إلى نتائج دقيقة أقرب إلى الصواب والصحة، "وينبغي للسانيات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هي حقل للبحث...أن تصبح علما محوريا للخطاب والاتصال " (دي بوجراند 1998، ص71)وذلك لما تحويه من مفاهيم وآليات تخوِّلها لذلك.

ومما يلاحظ في العلوم بشتى مجالاتها في هذا العصر أنها اكتسبت صفة البينية "والتواصل بين العلوم أصبح سمة من سمات العلم بصفة عامة وعلم اللغة بصفة خاصة، فقد أصبح هناك تواصل بين علم اللغة وعلوم أخرى كثيرة، مثل علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية وعلم الوراثة وعلم الحياة العام وعلم وظائف الأحياء...إلخ وكذلك علم اللغة النصي اتصل بدوره بعلوم الأدب والبلاغة والشعر والاسلوب وعلوم النفس والاجتماع والفلسفة وغيرها" (الفقي 2000، ص25) وهذا المزج بين العلوم كان بشكل مرتب ومؤصل لا فوضى فيه ولا اختلاط، وأثمر مفاهيم وإجراءات واسعة ودقيقة يرشحها لتأدية مهام لسانيات النص وتحقيق أهدافها .

وعلى هذا التكامل أكد الحديث التحليلي، فالتكامل بين العلوم في الحديث التحليلي" عنصر أساسي في التحليل...وعلى الباحث التركيز في التطبيق العملي على التكامل بين العلوم في تحليل المتن، ويحرص أولا على

التكامل بين العلوم الشرعية واللغوية بمختلف أنواعها في تحليل المتن، ثم يراعي ربط العلوم المعاصرة في التحليل، وتحدد هذا الأمر ثقافةُ الباحث ومدى قدرته على جعل العلوم المعاصرة تخدم الحديث التحليلي... ثم يحاول إسقاط ما توصل إليه على الواقع والقضايا المستجدة لكن قدر استطاعته وقدر المعطيات التي توصل، إليها دون التكلف ولا تميع" (سندس عادل 2016، ص171) فمراعات كل هذه العلوم واستحضارها ضروري في تحليل الأحاديث النبوية، وبذلك تتضح البينية في الحديث التحليلي.

وتذكر سندس عادل أيضا أهميته بينيّة الحديث التحليلي قائلة:" تحليل المتن فيه التكامل والتعمق بين العلوم وفيه توسيع فكر الباحث، وهي خطوة مهمة جدا ويترتب عليها أحكام شرعية وفوائد كثيرة، لذا ينبغي للباحث الاهتمام بهذه الخطوة والتعرف على عناصرها ولوازمها وهي الخطوة الثانية من التحليل" (سندس عادل 2016، ص141) ففي هذه الخطوة (خطوة تحليل المتن) تتجلى ضرورة كون الحديث التحليل علما بينيا تتلاقى فيه مجموعة من العلوم وتتراشف ليتحقق التحليل الأمثل للأحاديث النبوية.

ومما يؤكَّد عليه في تحليل المتن أخذه من علوم الحديث، فمعرفة " علوم الحديث المتصلة بتحليل الأحاديث النبوية أمر في غاية الأهمية، وصِلته بالتحليل وثيقة، إذ يترتب على معرفة هذه العلوم أحكام كثيرة، ومن ضوابط التحليل –كما سبق–التكاملية في التحليل وأول أنواعه وآكدها التكامل بين علوم الحديث والعلوم الشرعية في التحليل" (سندس عادل 2016، ص156) وهذا لقوة الروابط بين هذه العلوم والحديث النبوي ولأهميته فيها.

كما أن في شروح الأحاديث النبوية تعرُّض و ذِكر لكثير من الفوائد المتعلقة بالعلوم المختلفة وذلك لما في الأحاديث النبوية من سعة وتعدد مواضيع ومساسها بكافة مناحي الحياه فنجد فيها:" إشارات مفيدة ومفاهيم ترتبط بعلم الطب وعلم الفلك وعلم التربية وعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الإدارة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم العسكرية، وإن لم يُصرَّح في بعضها بالمصطلحات المعاصرة لهذه العلوم" (عبد السميع الأنيس 2020، ص137) ولكن المفاهيم الموجودة فيها هي نفسها في العلوم المعاصرة، ومما يجعل التحليل للحديث النبوي متكاملا– وهو من أهداف الحديث التحليلي– الاطلاع على هذه العلوم ومعرفتها والإحاطة بها وهذا ما يجعل الحديث التحليلي علما يمس كل ما في الأحاديث من علوم ومعارف ومفاهيم ويستدعي كمالُه استحضارها في التحليل.

5. خاتمة:

بعد هذا العرض للمفاهيم اللسانية النصية في الحديث التحليلي نستخلص ما يلي:

– تجلي المفاهيم اللسانية النصية في شروح الأحاديث النبوية عامّة وفي الحديث التحليلي خاصة.

– رسوخ فكرة النصية عند المسلمين منذ القِدَم، وظهورها في كثير من دراساتهم خاصة ما تعلقت بفهم القرآن والسنة.

– دقّة الدراسة في الحديث التحليلي وشموليتها وسعتها خاصة فيما يتعلق بجانب دراسة المتن في الحديث النبوي.

– استيعاب الحديث التحليلي للآليات الإجرائية النصية السبعة التي نص عليها دي بوجراند وديسلر وتابعهم عليها كثير من الباحثين من بعدهم.

– وجود آليات إجرائية في الحديث تحليلي لم ترد فيما ذكره دي بوجراند، وهي إجراءات ذات خلفية نصية أو خطابية، مما يستدعي توسعة الإجراءات النصية ومعاييرها بالاستفادة من الحديث التحليلي وعلوم التفسير وغيرها.

– المفاهيم النصية في الفكر العربي متكيفة مع طبيعة العلوم ومنصهرة فيها، فتصاغ هذه المفاهيم وإجراءاتُها وتُخصَّص أو تُوسَّع بحسب ما يناسب ذلك العلم، ويُطرح مالا يحتاج إليه.

– تسمى المفاهيم النصية وإجراءاتها ومعاييرها في العلوم العربية بمصطلحات خاصة بكل علم، وقد تكون مشتركة في كثير من العلوم العربية، ولكن هذا الاشتراك لا يستدعي تسوية المصطلحات فيها، بل نجدها متباينة ومختلفة من علم لآخر.

6. قائمة المراجع:

– ابن دقيق العيد. *إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام*. القاهرة، مصر: مطبعة السنة المحمدية، 1372.

– أبو جعفر الطحاوي. *شرح مشكل الآثار*. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، 1994.

– أحمد ابن حجر العسقلاني. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. بيروت، لبنان: دار المعرفة، 1379.

– أحمد عفيفي. *نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي*. القاهرة، مصر: مكتبة زهراء الشرق، 2001.

– أحمد مداس. *لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري*. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، 2009.

– الأزهر زناد. *نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا*. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 1993.

– الخطيب البغدادي. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف، 1403.

– العبيدي سندس عادل. *الحديث التحليلي دراسة تأصيلية*، . عمان، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016.

– بن عياض عياض بن موسى. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

– جميل حمداوي. *محاضرات في لسانيات النص،شبكة الألوكة*. مصر: شبكة الألوكة، 2015.

– دي بوجراند. *النص والخطاب والإجراء*. القاهرة، مصر: دار عالم الكتب، 1998.

– سعد بحيري. *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1997.

– صبحي إبراهيم الفقي. *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*. مصر: دار قباء للنشر والتوزيع، 2000.

– صلاح فضل. *بلاغة الخطاب وعلم النص*. الكويت: عالم المعرفة، 1992.

– عبد الحق الدهلوي. *مقدمة في أصول الحديث*. بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية، 1986.

– عبد الرحمن بن حسن الحافظ العراقي. *طرح التثريب في شرح التقريب*. مصر: الطبعة المصرية القديمة، 2014.

– عبد السميع الأنيس. "منهج البحث في الحديث التحليلي بين الأصالة والمعاصرة." *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية*، 01 ديسمبر، 2020: 126.

- عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح. *معرفة أنواع علوم الحديث*. سوريا: دار الفكر، 1986.
- عصام بن عبد الله القريوتي. *الحديث التحليلي دراسة تأصيلية*. المملكة العربية السعودية: مجلة سنن، رجب 1431.
- عمر بن علي تاج الدين الفاكهاني. *رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام*. سوريا: دار النوادر، 2010.
- محمد بن إسماعيل البخاري. *صحيح البخاري*. بيروت، لبنان: دار طوق النجاة، 1422.
- محمد خطابي. *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، 1991.
- محمد عبد رائد العبيدي. *الحديث التحليلي دراسة تأصيلية*. العراق: مكتب شمس الأندلس للطباعة والنشر، 2018.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، د.ت.
- نعمان بوقرة. *لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 2016.
- نور الدين عتر. *منهج النقد في علوم الحديث*. دمشق، سوريا: دار الفكر، 1997.
- وائل درمان. *مشكلات شرح الحديث التحليلي وحلها*. المملكة العربية السعودية: دار طباعة الكتاب، 2019.